

# افتتاحية العدد



## افتتاحية العدد

إن من أبرز ما تهتم به المجلات العلمية أدوات البحث؛ إذ يركز عليها المحكمون، سواءً أكانوا أعضاء هيئة التحرير، أم محكمين خارجيين. فمع نشوء الفكرة البحثية، يولي الباحث حيزًا من التفكير لأدواته البحثية وكيفية بنائها ومدى مناسبتها. ومع أن لأهمية ارتكاز تلك الأدوات على تأطير نظري عميق، وأهمية تحقيقها خصائص محددة، فإن تركيزنا في هذه الافتتاحية سيكون على تناول خاصية أساسية لا ينفك الحديث عنها في البحوث العلمية، وقد أخذت هذه الخاصية حيزًا واسعًا من النقاش لدى المختصين في طرق البحث والقياس التربوي والنفسي، وعموم الباحثين باختلاف تخصصاتهم، وهذه الخاصية تتمثل في صدق تلك الأدوات.

والمتناول للصدق يجد تعريفًا شائعًا له عند الكثير من التربويين، وهو: "أن يقيس الاختبار ما وُضِع لقياسه". وعلى الرغم من صحته، فإنه يظل تعريفًا عامًا غير محدد، والمُسلّم به أن مفهوم الصدق تطور لدى المختصين، وتجاوز ذلك التعريف المُتسم بالعمومية، وانعكس هذا التطور على الأدلة الإرشادية للقياس التي تصدر تبعًا عن الجمعية الأمريكية لعلم النفس (American Psychological Association (APA)، ولا يتسع المجال هنا لعرض مراحل تطور مفهوم الصدق كافة، إلا أن المختصين في الوقت الحاضر يولون أهمية كبيرة لتعريف ميسيك (Messick) صاحب نظرية الصدق الحديثة، والذي يُعرف فيه الصدق بأنه "حكم تقييمي شامل لمدى قدرة الأدلة الأميركية والنظرية على دعم عملية تفسير القرارات القائمة على درجات الأداة". ومن هنا نشأ مفهوم الصدق الذي أشار إليه الدليلان الإرشاديان (الرابع والخامس) للقياس الصادران عن الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) في العامين 1985 و1999، ويتضمنان التأكيد أن مفهوم الصدق يُعد مفهومًا موحدًا، أي ليس ذا أنواع متعددة، كما قرر ذلك الدليل الإرشادي الصادر عن المنظمة ذاتها في عام 1954، والذي قَسَم الصدق أربعة أنواع، تتضمن صدق المحتوى، وصدق المفهوم، والصدق التلازمي، والصدق التنبؤي. كما أن مفهوم الصدق الصادر عن الجمعية في العامين المشار إليهما يختلف عمّا ورد في الدليل الإرشادي الثاني الصادر عام 1966، الذي قسم الصدق ثلاثة أنواع، تتضمن صدق المحتوى، وصدق المفهوم، وصدق المحك. والباحث المتأمل في تعريف ميسيك السابق قد يطرح تساؤلًا عن ماهية أدلة الصدق الداعمة لتفسيرات درجة المقياس أو الأداة، وعلى الرغم من تعدد تلك الأدلة، وتعدد الكيفية التي يناقش بها المختصون تلك الأدلة، فإن أنتوني نتكو وسوزان بركهارت يُجملان أدلة

الصدق الداعمة لتفسيرات درجة المقياس في ثنائي أدلة، هي: (1) دليل قائم على المحتوى، وأكثر ما يكون في الاختبارات التحصيلية، ويرتبط به جدول المواصفات، إلا أن هذا الدليل لا يقتصر على الاختبارات التحصيلية، بل يمكن توسيع استخدامه لأنواع الاختبارات الأخرى، (2) دليل قائم على عمليات التفكير ومهاراته، (3) دليل قائم على البنية الداخلية، ويرتكز على العلاقة بين مكونات الأداة أو المقياس، وعادة ما يستخدم فيه التحليل العاملي بنوعيه الاستكشافي والتوكيدي، (4) دليل يقوم على البنية الخارجية للمقياس، أي: علاقة نتائج المقياس بنتائج مقاييس أخرى، أو متغيرات أخرى، (5) دليل يتمثل في الثبات، ويندرج تحته الاتساق الداخلي. وهنا نؤكد أن الاتساق الداخلي دليل على الصدق وليس نوعاً منه، (6) دليل يتمثل في إمكانية التعميم على الأفراد، ويرتبط به عدم تحيز فقرات الاختبار الذي يكشف عنه بما يسمى الأداء التفاضلي للفقرات والاختبار، (7) دليل النتائج أو التبعات المترتبة على تفسير واستخدام درجات الاختبار، (8) دليل الاستخدام العملي للأداة، ويتمثل في أمورٍ، منها: التكلفة، والفعالية، وإمكانية التطبيق. ويوجد تفصيلات وتشعبات ضمن كل دليل ليس هذا محل نقاشها.

وفي ختام هذا السرد لمفهوم الصدق وأدلته، تجدر الإشارة إلى أن الباحث كلما استخدم أدلة مناسبة أكثر؛ دعم بحثه ودعم صدق أدواته بشكل أفضل. ويلاحظ أن الباحثين كثيراً ما يعتمدون على الدليل القائم على المحتوى، أو الدليل القائم على الثبات، وبالأخص الاتساق الداخلي، على الرغم من أن هذين الدليلين لا يعدان صالحين لكل بحث، بل لا بد من تناول أنواع أخرى من الأدلة التي قد تكون أنسب منها. ومن المهم التأكيد في نهاية هذه الافتتاحية أن تناول أدلة الصدق ليست صعبة الفهم أو الاستخدام، كما قد يعتقد بعض الباحثين، بل متيسرة، بسطتها كتب القياس والتقويم بشروحات سهلة. وعلى الرغم من وجود شريحة واسعة من الباحثين الذين يتناولون مفهوم الصدق وأدلته بصورة دقيقة وفق ما يناسب أبحاثهم، فإننا - في هذه الافتتاحية - نؤكد أهمية تناول مفهوم الصدق وأدلته بعمق ودقة في برامج الدراسات العليا في الجامعات، وضرورة ممارسة الباحثين للمفهوم وأدلته بصورة أوسع وأشمل في بحوثهم التي ينجزونها، سواء أكانت تلك البحوث رسائل علمية، أم بحوثاً منشورة في مجلات أو مؤتمرات علمية، كما أنها دعوة للمجلات العلمية واللجان العلمية والمحكمين لمنح أهمية عالية لمفهوم الصدق وأدلته وفق نظرية الصدق الحديثة، وما تتضمنه من توحيد استخدام المفهوم مع تعدد أنواع الأدلة، راجين من المولى - عز وجل - التوفيق للجميع.

\*\*\*

مدير تحرير مجلة العلوم التربوية

جامعة الملك سعود

أ. د. اسماعيل سلامة البرصان